السعة في استخدام كلمتي القوس والسهم في الشعر الجاهلي

د. منيرة أبومنقة محمد

أستاذ مساعد– قسم اللغة العربية – إدارة مطلوبات جامعة الخرطوم

مقدمة

كانت القوس والسهم من الأشياء الضرورية للعربي عندما كان يعيش في الصحراء حياة تعتمد على العصبية القبلية ، قائمة في رزقها على الإغارة والنهب والسلب .

وقد كان للعربي اهتمام كبير بالأسلحة لكثرة الحروب التي كانت تنشب بينهم لأسباب مختلفة . وتأتي القوس والسهم في مقدمة الأسلحة القديمة التي اهتم بها العربي ، فهي سلاح الحرب والسلم ، ففي الحرب أداة نصر وغلبة حيث كانوا يجيدون استخدامها لسهولتها وتوفرها، ولما لهم من حدة البصر، لذلك أكثروا من وصف قسيهم وسهامهم التي أعدوها لقتال أعدائهم وأكثروا من الافتخار بها .

وفي السلم وسيلة لكسب العيش ، حيث كانت من أهم الوسائل التي عني بها العربي وجعلها وسيلة لكسب عيشه وقوته ، واستوجبت تلك العناية ضرورة الطعام ولذة الصيد ، ومن ضرورة الطعام ولذة الصيد جاءنا ذلك الكم الهائل من الدفق الشعوري تجاه القوس والسهم والصيد منذ امرئ القيس الذي فتن بالصيد فقال : (1)

كأني لم أركب جواداً للذة   و لم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

فواضح من هذا أن لذة الصيد عند العربي تماثل وقد تفوق لذة الكواعب عنده ، لذلك أكثر الشعراء من ذكر القوس والسهم في مجال الصيد .

كذلك كانت القوس مطية الرياضة والرهان ، واستخدمت القوس في الخطب، واستخدم السهم في الميسر فكثر ذكرهما في أشعارهم .

هذه هي أهم المجالات التي تستخدم فيها القوس والسهم عند العرب استخداماً مادياً ، وقد استخدم العرب القوس والسهم استخداماً خرج بهما عن نطاقهما المألوف متجاوزاً الصور المادية التي دعت إليها حياتهم القبلية في حروبهم وغاراتهم وفي سلمهم في صيدهم ، إلى صور أخرى معنوية يرونها أشد فتكاً من قوس رامٍ أو سهم منطلق ، وسوف أتناول في هذا المقال تلك الصور المعنوية التي استخدم فيها العرب القوس والسهم خارجين بهما عن نطاقهما المألوف ، وهذا ما أقصده بالسعة في استخدام كلمتي القوس والسهم عند العرب .

استخدم العرب القوس والسهم كما ذكر استخداماً خرج بهما عن النطاق المألوف إلى صور معنوية يرونها أشد فتكاً من قوس رامٍ أو سهم منطلق . فقد تغنى الشعراء بهما في وصف العيون النجل وتشبيه الحاجب بالقوس وتلاحظ العينين بالنبال ، وكان استخدامهما في المفاخرة وفيما يعرف بـ" التعْقِية " مما تعارف عليه العرب ، قال الأسْعَر الجُعْفي : (2)

عقُّوا بسهم ثم قالوا : سالموا   يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللِّحَى

فقد كانت العرب في جاهليتها تعيب على من يأخذ الدية بدلا عن إدراك الثأر و للاعتذار من قبول الدية لجأوا إلى التعقية ، وهي سهم يرمى في السماء فإذا عاد مضرجا بالدم رفضوا الدية ، وإن رجع كما صعد مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية . ويبدو أن ذلك صورة خيالية من صور الاسترضاء للنفوس الغاضبة وتهدئة لثورتها حتى

لا تطالب بالثأر ، ولهذا قال ابن الأعرابي " وما رجع ذلك السهم قط إلا نقيا ولكنهم يعتذرون به عن الجهل " (3)

ويعتبر قبول التعقية عند بعضهم عيباً ، يقول المتنخل اليشكري يهجو ناساً من أهله كانوا مع ابنه يوم قُتِل وقد قبلوا التعقية : (4)

لا ينسئ الله منَّا معشراً شهدوا   يوم الأميلح لا عاشوا ولا مرحوا
عقُّوا بسهم فلم يشعر به أحــدٌ   ثم استــفاءوا وقالوا حبَّذا الوضح

وعلى الرغم من أن مسح اللحي كان عادة عربية قديمة فإنها ما تزال قائمة حتى الآن في الجزيــرة العربية ، فإذا استسمح إنسان آخر من ذنب جناه عليه أمسك بلحيته اعتذاراً له .

وكــان العرب يجلسون على الأرض ويخططون بقسيهم مفاخرين ، ويقولون فعلنا كذا وفعلنا كذا يفتخرون بما فعلوا وفعل آباؤهم ويعددون أيامهم ومآثرهم ، وإلى هذا أشار الحطيئة بقوله : (5)

أم من لخصمٍ مضجعين قسيهم   ميل خدودهم عظام المفخر

وكــان الأسرى في الجاهلية لا يطلق سراحهم بعد تقديم الفداء إلا بعد أن تجذَّ نواصيهم وتحفظ في كنائنهم لأيام المفاخرة ، يخبرنا بذلك الحطيئة بقوله : (6)

قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم   مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاس

أي فاخــروك فرجحوا آباءهم عليك ، وأبدوا مجداً تليداً ويقصد به النواصي ، والنكس الدنيء المقصر وهو في الأصل السهام ارتدت أو نالتها آفة فنكست في الكنانة لتعرف من غيرها .

وقــد يسمى الترامي بالألفاظ والتراشق بالكلمات والشتائم في المفاخرة قد يسمى مجازا تراميــا بالنبال ومناضلة ، أشار إلى ذلك سويد بن أبي كاهل اليشكري بقوله يصف لنا مفاخرة جرت بينه وبين أحد أعدائه (7)

وعدوٌ جاهدٍ ناضلته   في تراخي الدهر عنكم والجمع
وارتمينا والأعادي شهّد   بنبال ذات سم قد نقع
بنبال كلها مذروبة   لم يطق صنعتها إلا صنع
خرجت عن بِغضة بينة   في شباب الدهر والدهر جذع

فيذكر أنه ناضل عدوه وفاخره بكلمات ذات حجة في الافتخار ونشر المكارم ، لأنه أشد لتحرزه في كلامه من أن يغلب ، وشبه قوة حجته بالنبال المحددة التي أجيد صنعها لأن كلماته خرجت عن بغضة وعداوة .

ونحو ذلك ما قال المسيب بن علس : (8)

وإذا رماه الكاشحون رماهمُ   بمعابلٍ مذروبةٍ وقطاع

وتشبيه العداوة بالسهام كثير في الشعر الجاهلي ، ومن ذلك قول معن بن أوس يتحدث عن قريبه الذي يتمنى له الشر ويجاهر بعداوته ، أما هو فيحاول أن يخفف من ضغنه بحلمه عليه يقول : (9)

وذي رحم قلّمتُ أظفار ضغنه   بحلمي عنه وهو ليس له حلم
وإن انتصر منه أكن مثل رائش   سهام عدو يُستهاض بها العظم
بادرتُ من النأي والمرء قادرٌ   على سهمه مادام في كفّه السهم

وكذلك قول الأعشى : (10)

أراني بريئاً من عمير ورهطه   إذا أنت لم تبرأ من الشر فاسقم
إذا ما رآني مقبلا شام نبله   ويرمي إذا أدبرت ظهري بأسهم

ومن ذلك أيضا قول الأفوه الأودي : (11)

ريَّشتْ جُرْهمٌ نبلا فرمى   جُرْهماً منهن فُوقٌ وغِرار

وتسمى مثل هذه العداوة التي ينال كل واحد من أخيه بلسانه قسي عداوة ، يقول كعب بن مالك : (12)

ألا هل أتى غسان في نأي دارها   وأخبر شيء بالأمور عليمها
بأنْ قد رمتنا عن قشي عداوة   معدٌ معاً جهالها وحليمها

يبدو أن العرب كانوا يجلسون في خيمة لأحد السادة ويتفاخرون بقرع قسيهم في حضرة ذلك السيد فقد أشار إلى ذلك لبيد بقوله : (13)

ما إن أهاب إذا السرادق غمه   قرع القسي وأرعش الرعديد

وقد أكثر الشعراء من تشبيه لحظ المحبوبة ونظراتها بالسهام ، فالسهام عندهم لا تصيب ولا تصمي كما تصيب سهام العيون النجل ، وفي الحديث : النظر سهم مسموم من سهام إبليس ومنه قول الشاعر : (14)

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها   فعل السهام بلا قوس ولا وتر

ومن ذلك قول النابغة الذبياني وهو يتحدث عن محبوبته وما فعلته نظراتها فيه ، فيقول : (15)

في إثر غانية رمتك بسهمها   فأصاب قلبك غير أن لم تُقصد
ولقد أصابتْ قلبه من حبها   عن ظهر مرنان بسهم مُصرد

فهذه المحبوبة قد رمته بسهام عينيها فأصابت قلبه دون أن تقتله ، أصاب فؤاده من حبها نافذ كالسهم القاتل الذي رمى عن قوس ذات رنين .

وهذا التشبيه كثير الورود في الشعر العربي ، ومنه قول المرقش الأصغر (16)

رمتك ابنة البَكري عن فرع ضالة   وهنّ بنا خُوص يُخلن نعائما

فيستعيرون للحظ العينين اسم السهم لتأثيرهما في القلوب وجرحهما إياه كما أن السهام تجرح الأجسام وتؤثر فيها ، يقول امرؤ القيس : (17)

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي   بسهميك في أعشار قلب مقتّل

فهو يشبه عينيها بقدحين من سهام الميسر وهذا مثل ضربه لذهابها بقلبه كله .
ويقول في مكان آخر : (18)

وهرٌّ تصيد قلوب الرجال   وأفلت منها ابن عمرو حُجر
رمتني بسهم أصاب الفؤاد   غداة الرحيل فلم انتصر

ومن تشبيه العيون بالسهام قول بشر بن أبي خازم (19)

بان الخليط و لم يوفوا بمَا عهدوا   وزودوك اشتياقا آية عمدوا
شقّتْ عليك نواهم حين رحلتهم   فأنت في عرصات الدار مقتصد

وقوله مقتصد اسم مفعول أي أقصدته بالسهام فهو واقف لا يبرح من اللهفة والأسى .

وكذلك قول عنترة : (20)

رمتِ الفؤادَ مليحةٌ عذراء   بسهام لحظ ما لهن دواء

وقول سويد بن كراع: (21)

وقد علمت أن قد أصاب سهامها   وأقصدني منها الذي كنت أحذر

ومن تشبيه العيون وما تفعله في قلب المحبوب بالسهام هذه الأبيات التي أوردها صاحب الحماسة دون أن ينسبها : (22)

تعرّضن مرمى الصيد ثم رميننا   من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم   فيا عجبا للقاتلات الضعائف

فهؤلاء النسوة تقربن منهم بمقدار ما ينظرون إليهن فيرمين قلوبهم بمحاسنهن ، فهم في ذلك معهن كالصيد يتعرض لراميه حتى يمكنه من نفسه ثم يرميه.

ومن الشعراء من يصاب بالغرور فيعكس الصورة فيجعل نظراته هو هي التي تصيب المحبوبة وتصطادها كما تصيب السهام ،وهذا ما فعله المثقب العبدي عندما قال: (23)

بتلهية أريش بها سهامي   تبذُّ المرشقات من القطين

والتلهية هي المحبوبة يرسل إليها سهامه ليصطادها ، ومن ذلك قول معاوية بن جعفر " معوّد الحكماء " (24)

فإن تك نبلها طاشت ونبلي   فقد نرمي بها حقبا صيابا

فتصطاد الرجال إذا رمتهم   واصطاد المخبأة الكعابا

والبيت الأول مثل يقصد به إن تغير الأمر والحال في هذا الوقت فقد كان قبل اليوم يجئ على استقامة ، فهي تصطاد بنبلها الرجال وأنا اصطاد المحبوبة الكاعبة .

ومنه كذلك قول النمر بن تولب : (25)

وقد كنت لا تشوي سهامي رمية   فقد جعلت تشوي سهامي وتنصل

فهو الذي كان يصيب غيره بسهامه قبل هذه المحبوبة التي أبطلت فعل سهامه لجمالها. وانقلاب الصورة الشعرية هنا عما ألفه الشعر العربي من وصف المرأة بالتدلل والتمنع إلى جريها لاهثة وراء الرجل لتصطادها سهام عينيه يذكرنا شعر عمر بن أبي ربيعة وتدلُّله على المرأة وجعلها تجري وراءه ، يقول عمر بن أبي ربيعة : (26)

قفي فانظري أسماء هل تعرفينه   أهذا المغيري الذي كان يذكر
أهذا الذي أطريت نعتا فلم أكن   وعيشك أنساه إلى يوم أقبر

ومن التشبيهات الغريبة تشبيه الصد والهجران بالسهام مثل قول عنترة : (27)

إذا رشقت قلبي سهام من الصد   وبدَّل قربي حادث الدهر بالبعد
لبستُ لها دروعا من الصبر مانعا   ولاقيت جيش الشوق منفردا وحدي

وقد أكثر الشعراء من تشبيه مصائب الدهر بالنبال النافذة يقول النابغة : (28)

حتى يبيد على عمد سُراتهم   بالنافذات من النبل المصاييب
إني وجدتُ سهام الموت مُعرضة   بكلِّ حتف من الآجال مكتوب

ولعل الاشتراك في فعل الموت بين المصائب والسهام هو الذي أوحىٰ بهذا التشبيه لدى الشعراء .

ويقول لبيد في هذا المعنى : (29)

صادفن منها غرة فأصبنها   إن المنايا لا تطيش سهامها

أما عروة بن الورد فيقول : (30)

فإن فاز سهم للمنية لم أكن   جزوعا وهل عن ذاك من متأخر
وإن فاز سهمي كفّكم عن مقاعد   لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

وقوله " فاز سهم المنية " مثل تمثل به ، يقال للذي يخرج سهمه في قداح الميسر أولا قد فاز سهمك ففوزه هو خروجه أولا .

ومن تشبيه مصائب الدهر بالسهام والنبال قول عدي بن زيد : (31)

فوّق الدهر إلينا نبله   علّلا يقصدنا بعد نَهَل
فهو يرمينا ولا نبصره   فعل رامٍ رامَ صيداً فختل
رُزِق الصيد ولاقى غرة   فرمى مستمسكا ثم قتل

وفي المعنى نفسه يقول أبو زبيد الطائي : (32)

عُلّل المرء بالرجاء ويُضحي   غرضا للمنون نصب عود
كل يوم ترميه منّا بسهم   فمصيب أو صافٍ غير بعيد

وكانت العرب تنصب عودا تجعله غرضا فيصيبه بعض السهام أو يقع قريبا منه فضرب ذلك مثلاً .

وقريب من هذا المعنى قول الحطيئة : (33)

فإن تكن الحوادث أقصدتني   وأخطأهنّ سهمي حين أرمي
فقد أخطأت حين تبعت سهما   سفاهاً ما سفهتُ وزلّ حلمي

وكذلك قول الفند الزماني : (34)

ولولا نبل عوض في   حُظُبّاي وأوصالي
لطاعنت صدور الخيـ   ـل طعنا ليس بالآلي

وكذلك قول عمرو بن قميئة (35)

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدري   فكيف بمن يُرمى وليس برام
فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها   ولكنني أُرمى بغير سهام

وقد استوعبت الأمثال في معانيها وصيغها القوس والسهم ، والأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام بها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خصال : إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه ، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم ومَنْ بعده وتمثل بها. (36)

وإذا تتبعنا الأمثال التي وردت فيها كلمتا القوس والسهم لما وسعنا هذا المقال في حصرها لذلك سنكتفي ببعض الاستشهادات على سبيل المثال ، فنذكر من هذه الأمثال :

" **أعط القوس باريها**" (37)

ومعناه استعن على عملك بأهل المعرفة ، وهو مأخوذ من قول الشاعر :

يا باري القوس لست تحسنه　　لا تفسدها وأعط القوس باريها

" **النبع يقرع بعضه بعضاً** " (38)

يضرب للمتكافئين في الدهاء والمكر، ومنه قول زفر بن الحارث : (39)

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه　　ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

" **عاد السهم إلى النّزعة** " (40)

أي رجع الحق إلى أهله، والنزعة الرماة وإذا قالوا " **عاد الرمي على النزعة** " كان المعنى عاد عاقبة الظلم إلى الظالم .

" **رجع بأفوق ناصل** " (41)

الناصل السهم سقط نصله ، والأفوق الذي انكسر فوقه ويضرب لمن يرجع عن مقصده بالخيبة .

" **رموه عن شريانة** " (42)

أي اجتمعوا عليه ورموه بقوس واحدة . وقد استعمل هذا المثل النبي صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يصالح بعض الأحزاب في غزوة الخندق على ثلث ثمار المدينة على أن يذهبوا دون محاربتهم فرفض ذلك المسلمون ، فقال لهم الرسول : إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم بقوس واحدة. (43)

" رماه بنبله الصائب " (44)

يقال هذا المثل إذا أجاب شخص خصمه بكلام جيد ، ومنه قول لبيد (45)

فرميت القوم رشقاً صائباً ليس بالعُصل ولا بالمُقتعل

" ربَّ رمية من غير رامٍ " (46)

ويضرب للمخطئ يصيب أحياناً ، ومنه قول الشاعر :

رمتني يوم ذات الغمر سلمى بسهم مطعم للصيد لام
فقلت لها : أصبت حصاة قلبي وربت رمية من غير رام

وهذا المثل ضربه الحكم بن عبد يغوث وكان أرمى الناس وذلك أنه أنذر ليذبحن مهاة على الغبغب ، فرام صيدها أياما فلم يمكنه ، فكان يرجع مخفقا حتى همَّ بقتل نفسه مكانها فألح عليه ابنه مطعم أن يأخذه معه فرفض فقال ما أحمله من رعش رهل فشل ، فما زال به حتى حمله فرمى الحكم مهاتين فأخطأهما فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فأصابها فعندها قال الحكم ذلك .

" مع الخواطئ سهم صائب " (47)

ويضرب للرجل الفاسد القول والفعل يصيب في الأحايين مرة .

ومن أشهر الأمثال التي قيلت بسبب القوس والسهم " **أندم من الكسعي** "(48)

ومناسبة هذا المثل أن الكسعي هذا وهو رجل من كسع واسمه محارب بن قيس كان يرعى إبلاله بوادٍ مشعب فبينما هو كذلك إذ أبصر نبعة في صخرة أعجبته ، فقال

ينبغي أن تكون هذه قوسا ، فجعل يتعهدها ويرصدها - وهذا دأبهم مع أشجار القسي لحبهم لها واهتمامهم بها - حتى إذا أدركت قطعها وجففها ، فلما جفت اتخذ منها قوسا وأنشأ يقول :

يا ربِّ وفِّقني لنحت قوسي   فإنها من لذتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي   أنحتها صفراء مثل الورس
صفراء ليست كقسي النكس

ثم دهنها وأوترها ، ثم عمد إلى ما كان من برايتها فجعل منها خمسة أسهم وجعل يقلبها في كفه ويقول :

هنَّ وربِّي أسهم حسان   تلذ للرامي بها البنان
كأنما قوامها ميزان   فأبشروا بالخصب يا صبيان
إن لم يعُقني الشؤم والحرمان

ثم خرج حتى أتى قترة على موارد الماء فكمن لها فمر قطيع منها فرمى عيرا منها فأخمطه السهم أي نفذ منه وجازه وأصاب الجبل فأورى نارا فظن أنه أخطأه ، فأنشأ يقول :

أعوذ بالله العزيز الرحمن   من نكد الجد معاً والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصوان   يُورِي مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

واستمر هكذا كلما رمى عيرا يحدث ما حدث في المرة الأولى حتى نفذت " أنفذ " سهامه الخمس فقال :

أبعد خمس قد حفظت عدّها   أحمل قوسي وأريد وردها
أخزى الإله لينها وشدها   والله لا تسلم عندي بعدها
ولا أرَّجي ما حييت رِفدها

ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات ، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطروحة حوله مصرعة ،وأسهمه بالدم مضرجة ، فندم على كسر قوسه فشدّ إبهامه فقطعها فأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أنّ نفسي   تطاوعني إذاً لقطعت خمسي

ومن ذلك الوقت أصبحت ندامة الكسعي مثلاً يضرب ، ويتمثل بها الشعراء في التعبير عن ندمهم ، ومن ذلك قول الحطيئة : (49)

ندمت ندامة الكسعي لما   شريت رضى بني سهم برغمي

وكذلك قول الفرزدق حين طلق زوجته فندم على ذلك فقال : (50)

ندمت ندامة الكسعي لما   غدتْ مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها   كادم حين لجَّ به الضرار

ومن الأمثال التي ارتبطت بالسهام والقسي قولهم :

" ما في الكنانة أهزع " (51)

والأهزع آخر ما يبقى من السهام في الجعبة ، ويضرب لمن لم يبق من ماله شيء . ومن هذه الأمثال

" فاق السهم بيني وبينه " (52)

ويضرب في فساد ما بين الأخوين ، ومنه قول ابن عنمة يمدح متمما ويتلهف عميرة بن طارق (53)

عميرة فاق السهم بيني وبينه   فلا يطعمن الخمر إن هو أصقلا

" من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب " (54)

قاله علي رضي الله عنه في بعض من استبطأ من أصحابه ، ويضرب في ذم الرجل النكد .

" **حنَّ قدح ليس منها** " (55)

والقدح أحد قداح الميسر وإذا كان أحد القداح ليس من جوهر أخواتها ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فيعرف به أنه ليس من جملة القداح ، ويضرب هذا المثل للرجل يفتخر بقبيلة ليس هو منها أو يمدح بما لا يوجد فيه .

" **أشد قويسا سهما** " (56)

ويقال هذا المثل في موضع التفضيل ، ومثله " **هو أعلاهم ذا فوق** " .

وقد يشبه الصديق بالسهم في المثل فيقال " **قرينك سهمك يخطئ ويصيب** " (57) ، ويضرب في الإغضاء على ما يكون من الأخلاء .

"**ارجع إن شئت في فوقي** " (58)

أي عد كما كنت مؤاخيا لي ، ومنه قول الشاعر :

هل أنتِ قائلة خيرا وتاركة   شرا وراجعة إن شئت في فوقي

" **إحدى حظيات لقمان** " (59)

ويضرب للشيء يستهان به وهو مخوف .

ومن عادات العرب أنهم إذا أجاروا أحدا أعطوه سهما وقالوا قوقل به حيث شئت أي سر به حيث شئت ، فيدل ذلك على إجارتهم له ولا يتعرض له أحد بأذى. (60)

ومن عادات العرب كذلك أن الأميرين أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاهدا خرجا بقوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه ومَنْ دونهما من الرعية يكون كفه بكفه فيدل ذلك على صلحهما وتسمى هذه العادة المسايعة (61) .

وكذلك كانوا إذا تحالفوا يخرجون بقوسين يلصقون إحداهما بالأخرى فيكون القاب ملاصقا للآخر حتى كأنهما بقاب واحد ، ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهما واحدا فيكون ذلك إشارة إلى أن رضا أحدهما رضا الآخر وسخطه سخط الآخر .

وقد اشتهرت بعض القسي فسميت بأسماء أصحابها ومنها قوس حاجب بن زرارة ، فقد أتى إلى كسرى في جدب أصابهم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه لقومه أن يصيروا في ناحية بلده حتى يحيوا ، فرفض كسرى ثم طلب منه رهناً فرهنه قوسه ، وعندما جاء حاجب بقوسه إلى الملك ضحك منه القوم الذين كانوا حول الملك وقالوا بهذه العصا تفي للملك بما ضمنت له ، فقال لهم الملك : ما كان ليسلمها لشيء أبداً . (62)وهذا يدل على أن كسرى كان على علم بعادات العرب وأخلاقهم .وقد أشار إلى هذه القوس ابن عدس التميمي قائلا : (63)

تاهت علينا بقوس حاجبها   كما تاهت تميم بقوس حاجبها

وكذلك أشار إليها أبو تمام في مدح بني شيبان قائلا : (64)

إذا افتخرت تميم يوما بقوسها   وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم   عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وكذلك اشتهرت قوس سنان بن عامر لأنه رهن قوسه على ألف بعير في الحرث بن ظالم ، وكان يسمى ذا القوس (65) . وفي رواية ابن عبده ربه أن الذي رهن القوس هو سيار بن عمرو الفزاري ، ويقول في ذلك مفتخرا : (66)

ونحن رهنا القوس ثمت فُوديت   بألف على ظهر الفزاري أقرعا
بعشر مئين للملوك وفَى بها   ليُحمد سيار بن عمرو فأسرعا

ويقول أيضاً :

هل رأيتم حاملا كحاملي   إذا رهن القوس بألف كامل
بدية الملك الحُلاحل   فأفتكها من قبل عام قابل
سيار المُوفي بها ذو النائل

فالقوس والسهم كانت لهما أهمية كبيرة عند العرب ، ولهما أثر كبير في حياة العربي سلما وحربا ، لذلك تعددت مواطن استخدامهما استخداما ماديا ، بل وخرج العرب بهما عن الاستخدام المألوف إلى تلك الصور المعنوية التي مر ذكرها .

الهوامش

1- امرؤ القيس بن حجر ، ديوان ، محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ دار المعارف ، مصر ، ص65 .

2- أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، الأصمعيات ، تحقيق عبد السلام هارون ؛ أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ط3 ،ص159 ، وفي رواية: مسحوا لحاهم .

3- عبد القادر بن عامر البغدادي ، خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر. 1981 ، ط2 ، ج4 ، ص151 .

4- ديوان الهذليين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر ، 1945 ، ج2 ، ص31 .

5- الحطيئة ، جرول بن أوس بن مالك ، ديوان ، شرح أبي سعيد السكري ، دار صادر ، بيروت ،1967 ، ص 128 .

6- المصدر السابق ، ص109 .

7- أبو زكريا يحي بن على التبريزي ، المفضليات ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، 1977 ، القسم الأول ،ص742 - 744 .

8- المصدر السابق ، ص205 .

9- أبو على إسماعيل بن القاسم القالي ، كتاب الأمالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج2 ، ص102 .

10- الأعشى ، ميمون بن قيس ، ديوان ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1960 ،ص182 .

11- عبد القادر الجرجاني ، الطرائف الأدبية ، صححه وخرجه عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1937 ، ص12 .

12- يحي الجبوري ، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1963 ، ص76 .

13- لبيد بن ربيعة العامري ، ديوان ، دار صادر ، 1966 ، ص84 .

14- الحافظ شمس الدين الذهبي ، كتاب الكبائر ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة ، ص59 .

15- النابغة الذبياني ، ديوان ، شرح عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1984 ،ط1 ،ص 106

16- أبو زكريا التبريزي ، المفضليات ، ص897 .

17- ديوانه ، ص13 .

18- نفسه ، ص 155 .

19- فوزي محمد أمين ، شعر بشر بن أبي خازم ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1987 ، ص112 .

20- عنترة بن شداد ، ديوان ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ص1 .

21- صالح حاتم الضامن ، عشر شعراء مقلون ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، 1990 ،ص92 .

22- أبوتمام حبيب بن أوس ،ديوان الحماسة ، شرح التبريزي ، تعليق محمد عبد المنعم خفاجة ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده ، مصر ، 1955 ، ج3 ، ص1303 .

23- أبو زكريا التبريزي ، المفضليات ، ص1022 .

24- أبو سعيد عبد الملك الأصمعي ؛ الأصمعيات ، ص248 .

25- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تحقيق وضبط على محمد البجاوي ، ص425 .

26- محمد محي الدين عبد الحميد ، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ،مطبعة السعادة ، مصر ، 1960 ،ط2 ،ص 93 .

27- لويس شيخو ، شعراء النصرانية ، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين ، بيروت ، 1936 ، ج2 ، ص833 .

28- ديوانه ، ص21 .

29- ديوانه ، ص171 .

30- عروة بن الورد والسموأل بن عادياء ، ديوان ، دار صادر ، بيروت ، 1964 ، ص36 .

31- ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ، 1965 ، ص99 .

32- أبو زيد محمد ، جمهرة أشعار العرب ،ص581 -582 .

33- ديوانه ، ص125 .

34- صالح الضامن ، عشر شعراء مقلون ، ص19 .

35- عمرو بن قميئة ، ديوان ، تحقيق وشرح كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، 1965 ، 45-46 .

36- انظرعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وعلومها ، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي إبراهيم بجاوي ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، دار إحياء الكتب العلمية ، 1958 ، ص486 .

37- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محي الدين ، دار الفكر ، 1972 ، ط3 ، ج 2 ، ص19 .

38- المصدر السابق ، ج2 ص337 .

39- أبوتمام ، ديوان الحماسة ، ج1 ص71 .

40- الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، ص18 .

41- المصدر السابق ، ج1 ، 1564 .

42- نفسه ، ج1 ،ص1563 .

43- انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ،عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية ، 1987 ، ط15 ، ج2 ، ص273 .

44- الميداني ، مجمع الأمثال ، ج1 ، 1565 .

45- ديوانه ، ص147 .

46- أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، دار الجيل ، بيروت ، 1988 ، ط2 ، ج1 ، ص491 .

47- المصدر السابق ، ج2 ، ص269 .

48- الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، ص348 .

49- ديوانه ، ص122 .

50- الفرزدق ، ديوان ، شرح وضبط علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ،ط1 ، ص363 .

51- الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، ص286 .

52- أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي ، نثر الدر ، تحقيق سيدة حامد عبد العال ، مراجعة حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1989 ، ج6 ، ص520 .

53- علي محمد بجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، محمد أحمد جاد المولى ، أيام العرب في الجاهلية ، القاهرة ،ص 188 .

54- أبو سعيد الآبي ، نثر الدر ، ج6 ، ص520 .

55- الميداني، مجمع الأمثال ، ج1 ، ص371 .

56- المصدر السابق ، ج2 ، ص263 .

57- نفسه ، ج2 ، ص69 .

58- أبو سعيد الآبي ، نثر الدر ، ج6 ، ص251 .

59- أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، ج1 ، ص150 .

60- انظر جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969 ، ج4 ، ص 362 .

61- محمد الرازي فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)دار الفكر ، بيروت ، 1985 ، ط3 ، ج14، ص286 .

62- انظـــر محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد بجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، قصص العرب ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، 1939 ، ج1 ، ص3 .

63- محـــي الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1993 ، ط3 ، ص243 .

64- أبو تمام حبيب بن أوس ، ديوان ، شرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر ، 1951 ، ط5 ، ج1 ، ص207 - 208 .

65- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، ص243 .

66- أحمد محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983 ، ط1 ، ج6، ص15-16 .